الأرجوحة
قصة قصيرة

أحمد عبد الغني الشيخ

اجتاز باب الحديقة العامة تاركًا وراءه همومه.. كانت هذه عادته عندما يريد الهروب من مشاكله .. يشغل نفسه بأي شيء كالقراءة أو التنزه أو مجالسة الأصحاب .. هكذا دائما يفعل عندما يواجه أي مشكلة .. كان مدمنًا ولكن ليس لأي صنف من المخدرات المعروفة .. كانت القراءة والتنزه ومجالسة الأصحاب نوع رخيص من المخدرات اعتاد على تعاطيه ليس لشيء سوى الغياب عن الواقع .. وهكذا قرر أن يفعل فى ذلك اليوم .. وهكذا قرر أن يسكر بنزهة فى أحضان الطبيعة .. مضت بعض الدقائق وهو يتسكع بين الأشجار والمقاعد الحجرية .. لا يفعل شيئا سوى ملاحظة المتنزهين أمثاله .. هذه أسرة تحلقت حول الطعام على البساط الأخضر للحديقة .. وهناك فى أحضان الأشجار ثنائيات العشق ترتوي من أكاذيبه .. لَكَم كان يسخر من هذه الثنائيات المخدوعة بوهم الحبِّ .. هَمَّ بمضايقة إحدى هذه الثنائيات وقطع خلوتهم .. إنه فى سكرته هذه يفعل كل ما يخطر على باله من أفكار ولا تهمه العواقب .. كان متجها إلى إحدى هذه الثنائيات مضمرا شرا يبدو طرفًا منه على قسمات وجهه .. أراد أن يهاجمهما من الخلف لإخافتهما .. هكذا كان يخطط له منطق الطفل الذي بين جوانبه .. دخل بين الشجر ليفاجئهما خارجا من وراء شجرتهما .. وعلت شفتيه ابتسامة عريضة تهنِّئه مقدمًا بالنصر .. إلا أنه لمح شيئا متدليا من شجرة فحلَّ حب الاستطلاع مكان الرغبة فى مضايقة العاشقَين .. تحركت قدماه تجاه هذا الشيء دون أن تنتظر صدور الأمر لها من عقله .. هكذا كانت نفسه فى مِثل هذه السكرات تتحرك على سجيتها كطير يتنقل من غصن لآخر دون قيود .. اقترب من هذا الشيء فألْفاه حبلا يتدلى من فرع الشجرة مربوطا من طرفيه فى الفرع .. إنه فكرة جادت بها قريحة أمٍّ لتدخل السرور على ولدها .. إنه أرجوحة .. وكما كان يدخل هذا

الحبل السرور على الأطفال أدخل السرور على نفسه .. لقد ذكَّره بطفولته وما كانت تفعل أمه معه .. وبعد أن اختبر متانة الحبل والفرع المربوط به اعتلاه دون تفكير .. إنه سعيد بهذه العفوية التي يتصرف بها .. بدأت الأرجوحة تتحرك هَونًا هَونًا بداية الأمر .. والطفل الذي بين جنبيه يحرضه على الإسراع بالأرجوحة .. بذَل بعض المجهود كي يجعل الأرجوحة تصل إلى هذه السرعة .. وبقدر سرعة الأرجوحة كان توارد الأفكار على ذهنه .. كانت الأفكار تتسارع عليه مشوشة ومبعثرة كأنها حطام مرآة .. ولكن مع مرور بعض الوقت تكونت أمامه مصقولة لامعة .. تكونت أمامه كمرآة يرى فيها نفسه وهو على الأرجوحة ولكن أرجوحة غير الأرجوحة .. إنها أرجوحة الحياة التي يحياها .. رأى نفسه وهو مقبل على السياسة شغوف بها ولا تمضي أيام حتى يَنفِضُ يديه منها .. رأى نفسه قائما نائما بين كتبِ كاتبٍ بعينه أحبَّ كتاباته ولا تمضي أيام إلا قد تكومت الكتب فى ركن من مكتبته لا تجد من يرحمها ويزيل من عليها التراب .. رأى نفسه .. ورأى نفسه .. كلما أقبلت الأرجوحة رأى نفسه مقبلة على شيء جديد وكلما تراجعت رأى نفسه وقد تراجعت عن هذا الجديد .. أية حياة هذه ؟! .. لقد ملَّها كما مَلَّ كل جديد من قبل .. لقد مَلَّها ومَلَّ الهروب .. إنْ لم يواجه نفسه ويتحكم هو بحياته فستسول له نفسه الانتحارَ لا لِشيءٍ سوى أنه مَل الحياة .. ستسول له نفسه الملل من مجرد الحياة .. ولَن يكون الجديد الذي يكسر هذا الملل سوَى الموت .. ستضيِّعه نفسه إن استمرت هي القائد وهو المقُود .. ستظل تلعب به وبحياته كما تلعب به الأرجوحة تصرِّفه حيث تشاء .. لن يَقرَّ قراره على شيء إنْ ظلَّت حياته على ما هي عليه .. سيخسر كل شيء..كرِهَ هذه الحياة المتأرجِحة .. لقد كرِهَ الأراجيح .. من الآن لا أراجيح .. قالها وهو يقف على قدميه ثم أسرع الخَطوَ إلى باب الحديقة .. واجتاز باب الحديقة مواجهًا أمامه همومه ومشاكله.

تمت



